

الحلقة الثالثة والثلاثون

سلسلة مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كيف نحصل على السعادة؟ وهل السعادة أمر ممكن تحقيقه؟ تحت عنوان: السعادة تجلب النجاح، جاء التقرير التالي:

قال باحثون أميركيون أن السعادة تقود إلى النجاح، لكن العكس، أي أن النجاح يقود إلى السعادة، ليس بالضرورة هو الصحيح دائماً. فقد توصلت سونجا ليمبوميرسكي الإحصائية في علم النفس من جامعة كاليفورنيا إلى هذه النتيجة. توصلت إلى هذه النتيجة وذلك بعد الاطلاع على خمسة واثنتين وعشرين دراسة تتعلق بهذا الموضوع، بالتعاون مع جامعات أخرى، ومؤسسة استطلاع رائدة للرأي مثل معهد غالوب لاستطلاع الآراء.

وقالت ليمبوميرسكي إن النظرة الإيجابية إلى الأشياء تساعد الناس على المضي قدماً لتحقيق أهدافهم. وأضافت عندما يشعر الناس بالسعادة، يصبحون أكثر حيوية وتفاؤلاً وثقة في أنفسهم، مشيرة إلى أن الناس السعداء يمكنهم إنجاز الكثير في حياتهم. وقال الباحثون إن السعادة تنعكس بشكل إيجابي على العمل وحتى العلاقات مع الغير، مشيرين إلى أن السعداء عادة ما يتمتعون بصحة جيدة.

صديقي المستمع، ما أكثر ما يشتكي البعض من عدم وجود السعادة في بيته، وما أكثر ما يشعر الناس بهروب السعادة من حياتهم. بل أن هناك من لا يعرف للسعادة معنى، فيظن أن السعادة في المال الكثير، أو الشهرة، أو في البيوت الفخمة. إن السعادة هي الشعور النفسي بالرضا والاطمئنان، أي في النظرة الإيجابية للحياة. فإذا رضي الإنسان بواقعه حتى لو كان صعباً فهو يكون سعيداً. لكن إذا تدمر الإنسان من واقعه فلن يكون سعيداً، بينما إذا تدمر من واقعه السيء فسيكون أكثر شقاءً.

إن السعادة أيضاً هي شعور ينبعث من دواخلنا ولا يأتي من الخارج. فالمال مثلاً ليس هو الذي يصنع السعادة، ولكنه بدون شك أحد العوامل التي نستفيد منها حين نكون سعداء. الأهل الزوج، الزوجة، الأولاد، الأصدقاء، هؤلاء كلهم لا يصنعون السعادة بحد ذاتها. وينطبق نفس الشيء على الموهبة، النجاح، الإنجاز، الشهرة، فما لم يستشعر الإنسان السعادة من داخله فلا قيمة لهذه الأشياء. لأن السعادة مصدرها القلب وليس الرصيد النقدي. نخلص من هذا أن الأشياء لا يمكن أن تجلب السعادة للإنسان.

إن السعادة كما لاحظنا ليست هي مجرد الشعور النفسي بالرضا، والنظرة الإيجابية للأشياء فحسب، بل هي أعمق من ذلك بكثير. إذ هي شعور ينبعث من دواخلنا، فيجعل حياتنا أكثر غنى وجمالا وخصبا. لكن السؤال هو: كيف بإمكاننا الحصول على هذه السعادة الفياضة الحقة؟

هل تدري يا صديقي أن الإنسان الذي يسعى نحو السعادة عن طريق المال والشهرة والعائلة، يكون كمن يركض وراء السراب في صحراء قاحلة؟ فما يبدو بريقا لامعا من بعيد، ما هو إلا سراب خادع. وهل تعلم أن أكثر الناس تعاسة من الداخل هم الأغنياء وذوي الشهرة والجمال والجاه؟ وكم من ممثل مشهور أو ممثلة مشهورة عندهما كل ما يريدان، انتهت حياتهما نهاية مؤلمة. والسبب لأنهما ركضا وراء السراب والوهم، ولم يعرفا معنى السعادة الحقيقي.

كتب الرسول بطرس إلى المؤمنين بالمسيح قائلا: "الذي -أي المخلص المسيح- وإن لم تروه تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد." (رسالة بطرس الأولى ٨:١) إن الإيمان بالمخلص المسيح إذن، هو الذي يغمر حياتنا من الداخل بالفرح والسعادة الحقيقيين. وهو الفرح الذي وصفه الرسول بطرس هنا بفرح لا ينطق به ومجيد. أي فرح لا يمكن التعبير عنه بالكلمات، وهو مجيد من حيث أنه عظيم جدا، لا يمكن حدّه في حدود معينة.

هل تعلم يا صديقي أن هذا هو اختبار الملايين من البشر الذين آمنوا بالمخلص المسيح؟ إذ في لحظة واحدة غمر قلوبهم هذا الفرح المجيد، وامتألت حياتهم بالسعادة الحقة. بعد أن كان اليأس مسيطرا على حياتهم، ولا رجاء عندهم، ولا أمل لديهم. هل حاولت صديقي الحصول على السعادة عن طريق أمور شتى فحصلت الخيبة والفشل؟ أنت الآن تعرف ماذا تفعل لكي تحصل على السعادة الحقة. فهل تراك تقدم على هذه الخطوة، خطوة الإيمان بالمخلص المسيح؟

قد يستغرب البعض ويتساءلون: هل هذا ممكن ومعقول أن يغمر الفرح والسعادة حياتنا بمجرد الإيمان بالمخلص المسيح؟ والجواب: نعم، هذه هي الحقيقة، وما علينا سوى اختبارها لتتأكد من صدقها. وفي هذه الحالة لن نخسر شيئا. إن السعادة إذن أمر ممكن الحصول عليه، إذا انطلقنا من الأساس الصحيح الذي يجب علينا البدء منه، وهو معرفة المخلص المسيح عن طريق الإيمان. وعندئذ تتبدل نظرتنا إلى الحياة، وإلى الأمور من حولنا. ونستطيع أن نكون إيجابيين في نظرتنا وتعاملنا مع الآخرين.

قال المخلص المسيح مرة: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثّقيلِي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني. لأنّي ودبّع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هيّن وحملِي خفيف." (بشارة متى ١١: ٢٨-٣٠) لقد دعا المخلص المسيح جميع المتعبين والثّقيلِي الأحمال لكي يأتوا إليه، أي دعا جميع البشر لكي يأتوا إليه. إذ لا يوجد من هو غير متعب ولا ينوّ تحت ثقل الخطية. فهو دعانا جميعا لكي نأتي إليه حتى نجد الراحة الحقّة.

فهل أنت متعب يا صديقي في هذه الحياة؟ وهل تهرب السعادة من أمامك؟ وهل جرّبت أموراً كثيرة وفشلت؟ إن المخلص المسيح يدعوك الآن لكي تأتي إليه. وهو قادر أن يعطيك الراحة الحقّة، والسعادة القلبية التي تصبو إليها.